سادساً : الوفود

ولما توافدت الوفود على رسول الله ﷺ كان هناك وفود نصرانية ، وبعض هذه الوفود جاءت مكة قبل الهجرة ، وبعضها قدم المدينة بعد الهجرة ، ومن هذه الوفود :

١- وفد النجاشي وأهل الحبشة :

قال ابن كثير في تفسيره : قال محمد بن إسحاق في السيرة : قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى ، حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا عن مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل ابن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ، ما نعلم ركبا أحمق منكم ، أو كما قالوا لهم . فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرا . قال : وسألت الزهري عن هذه الآيات[1] فيمن نزلت؟ قال : ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه رضي الله عنهم [2].

٢- وفد نجران : ويعد وفد نجران من الوفود المتعددة التي قدمت على رسول الله ﷺ ، بيد أن القرآن خص هذه الوفود بحديث مفصل في القرآن جاء ذلك في سورة آل عمران . قال الإمام ابن كثير :

---

(١) هذه الآيات هي ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (القصص:٥٢-٥٥)

(٢) تفسير ابن كثير مرجع سابق جـ٣ صـ٣٩٥.

وقد روى البيهقي في دلائل النبوة قصة وفد نجران مطولة جدا ، ولنذكره فإن فيه فوائد كثيرة وفيه غرابة ، وفيه مناسبة لهذا المقام ؛ قال البيهقي : إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه («طس» سليمان) [1] : (باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران : فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أما بعد ، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب . والسلام».

فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فزع به ، وذعره ذعراً شديداً ، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له : شرحبيل بن وداعة وكان من همدان ، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله ؛ لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب ، فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه ، فقال الأسقف : يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة ، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ، ليس لي في أمر النبوة رأي ، ولو كان في أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي واجتهدت لك . فقال له الأسقف : تنح فاجلس فتنحى شرحبيل . فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له : عبد الله ابن شرحبيل ، وهو من ذي أصبح من حمير ، فأقرأه الكتاب ، وسأله عن الرأي فيه . فقال مثل قول شرحبيل . فقال له الأسقف : تنح فاجلس ، فتنحى عبد الله . فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له : جبار بن فيض من بني الحارث ابن كعب ، أحد بني الحماس . فأقرأه الكتاب ، وسأله عن الرأي فيه . فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله فأمره الأسقف فتنحى ، فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعا ؛ أمر الأسقف بالناقوس فضرب به ، ورفعت النيران والمسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار وإذا كان فزعهم ليلا ضربوا

---

(١) أي سورة النمل ، التي ذكرت فيها قصة سليمان .

بالناقوس ، ورفعت النيران في الصوامع ، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ، ورفعت المسوح ، أهل الوادي أعلاه وأسفله ، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع وفيه ثلاث وسبعون قرية ، وعشرون ألف مقاتل ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، وسألهم عن الرأي فيه ، فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل ابن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجبار فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ ، فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ، ولبسوا حللا لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه فلم يرد عليهم ، وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم ، وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب ، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وكانا معرفة لهما ، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا : يا عثمان ويا عبد الرحمن ؛ إن نبيكم كتب إلينا كتابا فأقبلنا مجيبين له ، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا ، وتصدينا لكلامه نهارا طويلا فأعيانا أن يكلمنا ، فما الرأي منكما أترون أن نرجع ؟ فقالا لعلي ابن أبي طالب وهو في القوم : ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم ؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه ، ففعلوا . فسلموا عليه فرد سلامهم ، ثم قال :« والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم »، ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول في عيسى ، فإنا نرجع إلى قومنا ، ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبياً أن نسمع ما تقول فيه؟ فقال رسول الله ﷺ :« ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى »، فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ (آل عمران:٥٩-٦١) ، فأبوا أن يقروا بذلك ، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر ؛ أقبل

مشتملا على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي في ظهره للملاعنة ، وله يومئذ عدة نسوة . فقال شرحبيل لصاحبيه : لقد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي ، وإني والله أرى أمرا ثقيلا ، والله لئن كان هذا الرجل مبعوثا فكنا أول العرب طعنا في عينيه ، ورداً عليه أمره ، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبنا بجائحة ، وإنا لأدنى العرب منهم جواراً ، ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعناه لا يبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقال صاحباه : فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال : أرى أن أحكمه فإني أرى رجلاً لا يحكم شططا أبدا . فقالا له : أنت وذاك . قال : فتلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال له : إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك . فقال : «وما هو؟» فقال : حكمك اليوم إلى الليل وليلتك ، فمهما حكمت فينا فهو جائز ، فقال رسول الله ﷺ :«لعل وراءك أحد يثرب عليك» فقال شرحبيل : سل صاحبي ، فسألهما ، فقالا : ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن شرحبيل ؛ فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم ، حتى إذا كان من الغد أتوه ، فكتب لهم هذا الكتاب : «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران ، إن كان عليهم حكمه في كل نمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم ، وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة» ، وذكر تمام الشروط وبقية السياق [1].

وقد عقد ابن القيم فصلاً لما في هذه القصة من فقه واستنباطات ومما ذكره :

- جواز دخول أهل الكتاب مساجدَ المسلمين .
- تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضاً، إذا كان ذلك عارضاً ، ولا يمكنون من اعتياد ذلك .
- جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم ، بل استحباب ذلك ، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم ، وإقامة الحجة عليهم .[2]

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم مرجع سابق جـ١ صـ٣٧٠.

(٢) انظر : زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٥٥٧، ٥٥٨ .

٣- وفد عبد القيس :

قال ابن القيم : قال ابن إسحاق : قدم على رسول الله الجارود بن بشر ابن المعلى وكان نصرانيا، فجاء رسول الله في وفد عبد القيس فقال: يا رسول الله إني على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، فتضمن لي بما فيه ؟ قال : «نعم . أنا ضامن لذلك ، إن الذي أدعوك إليه خير من الذي كنت عليه»، فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم قال : يا رسول الله احملنا . فقال : والله ما عندي ما أحملكم عليه . فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس أفنتبلغ عليها ؟ قال : لا تلك حرق النار [١].

وفي الصحيح من حديث ابن عباس : أن وفد عبد القيس قدموا على النبي ﷺ فقال :«ممن القوم»؟ فقالوا : من ربيعة . فقال :«مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى»[٢].

٤- وفد طيىء :

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء ، وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلمهم وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم ، وقال رسول الله ﷺ : «ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كل ما فيه» ثم سماه زيد الخير[٣].

٥- قدوم عدي بن حاتم :

قال ابن إسحاق : قال عدي بن حاتم : ما كان رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله ﷺ مني حين سمعت به ، وكنت امرءا شريفا ، وكنت نصرانيا ، وكنت أسير قومي بالمرباع ، وكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكا في قومي ، فلما

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ٢ صـ٥٧٥ . وانظر : زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٥٣٠.

(٢) رواه البخاري في الأدب رقم (٦١٧٦) عن ابن عباس .

(٣) انظر: سيرة ابن هشام مرجع سابق جـ٢صـ٥٧٨. وانظر: زاد المعاد مرجع سابق جـ٣صـ٥٣٨.

سمعت برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام عربي كان لي وكان راعيا لإبلي : لا أبا لك ؛ اعدد لي من إبلي أجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني ، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذني ، ففعل ، ثم إنه أتاني ذات غداة فقال : يا عدي ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فإني قد رأيت رايات فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إليّ أجمالي . فقربها . فاحتملت بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام ، وخلفت بنتا لحاتم في الحاضرة ، فلما قدمت الشام أقمت بها ، وتحالفني خيل رسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله في سبايا من طيىء ، وقد بلغ رسول الله هربي إلى الشام فمر بها رسول الله ﷺ . فقالت : يا رسول الله غاب الوافد ، وانقطع الوالد ، وأنا عجوز كبيرة ، ما بي من خدمة ، فِمُنّ عليّ منّ الله عليك . قال : من وافدك ؟ قالت : عدي بن حاتم . قال : الذي فرّ من الله ورسوله . قالت : فَمُنّ عليّ . قال : فلما رجع ورجل إلى جنبه يُرى أنه علي قال : سليه الحملان . قالت : فسألته فأمر لها به . قال عدي : فأتتني أختي فقالت : لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها ، ائته راغبا أو راهبا ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه ، قال عدي : فأتيته وهو جالس في المسجد ، فقال القوم هذا عدي ابن حاتم ، وجئت بغير أمان ولا كتاب ، فلما دفعت إليه أخذ بيدي ، وقد كان قبل ذلك قال : « إني أرجو أن يجعل الله يده في يدي » قال : فقام لي فلقيته امرأة ومعها صبي فقالا : إن لنا إليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما ، ثم أخذ بيدي حتى أتى داره ، فألقت له الوليدة وسادة فجلس عليها ، وجلست بين يديه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ما يُفرك؟ أيفرك أن تقول لا إله إلا الله ؟ فهل تعلم من إله سوى الله ». قال : قلت : لا . قال : ثم تكلم ساعة ثم قال :« إنما تفر أن يقال : الله أكبر . وهل تعلم شيئا أكبر من الله؟ ». قال : قلت : لا . قال : فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضالون . قال : فقلت : إني حنيف مسلم . قال : فرأيت وجهه ينبسط فرحا . قال ثم أمرني فأنزلت عند رجل من الأنصار [1].

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام مرجع سابق جـ٢ صـ٥٧٨-٥٨١ . وانظر : زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٤٥٢-٤٥٤.

سابعاً : مكاتبة الملوك والأمراء النصارى . كما كاتب غيرهم

وقد كاتب النبي ﷺ عددا من الملوك والأمراء ، يدعوهم إلى دين الله سبحانه ، وكان من هؤلاء الملوك والأمراء من يدين بالنصرانية ؛ فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وممن كاتبهم النبي ﷺ :

١ – النجاشي ملك الحبشة :

كتب ﷺ إلى النجاشي : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة : أسلم أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله ، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي . والسلام على من اتبع الهدى » .

وبعث بالكتاب مع عمرو بن أمية الضمرى قال ابن إسحاق : إن عمرا قال له : يا أصحمة إن عليّ القول وعليك الاستماع ، إنك كأنك في الرقة علينا ، وكأنا في الثقة بك منك ، لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه ، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد ، وقاض لا يجور ، وفي ذلك موقع الحَز وإصابة المَفْصِل ، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم ، وقد فرق النبي ﷺ رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه بخير سالف ، وأجر ينتظر ، فقال النجاشي : أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب ، وأن بشارة موسى

براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر . ثم كتب النجاشي جواب كتاب النبي ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة ، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثُفْروقا ، إنه كما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين . (والثفروق علاقة ما بين النواة والقشر) . وتوفي النجاشي سنة تسع وأخبر رسول الله بموته ذلك اليوم فخرج بالناس إلى المصلى فصلى عليه وكبر أربعا [1].

قال ابن القيم معلقا على ما سبق : وهذا وهم والله أعلم ، وقد خلط راويه ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه وهو الذي آمن به وأكرم أصحابه ، وبين النجاشي الذي كتب إليه يدعوه ، فهما اثنان وقد جاء ذلك مبينا في صحيح مسلم أن رسول الله كتب إلى النجاشي وليس بالذي صلى عليه [2].

٢ – المقوقس عظيم مصر :

يعد المقوقس عظيم مصر أول قائد نصراني يراسله رسول الله ﷺ بعد النجاشي ، وقد سجل التاريخ هذه المراسلة وهاك نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم القبط : ﴿ يَٰٓأَهْلَ

---

(١) انظر : زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٦٠١-٦٠٣.

(٢) انظر : زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٦٠٣. والحديث عند مسلم في الجهاد (١٧٧٤) عن أنس .

﴿ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:٦٤) ، وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعة ، فلما دخل عليه قال له : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، فانتقم به ، ثم انتقم منه ، فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك ، فقال : إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه . فقال حاطب : ندعوك إلى دين الله ، وهو الإسلام الكافي به الله ما سواه ، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى ؛ إلا كبشارة عيسى بمحمد ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن ؛ إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه ، وأنت ممن أدركه هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ؛ ولكنا نأمرك به . فقال المقوقس : إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء ، والإخبار بالنجوى ، وسأنظر . وأخذ كتاب النبي فجعله في حُقٍّ من عاج ، وختم عليه ، ودفعه إلى جارية له .

ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية ، فكتب إلى رسول الله : لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبيا بقي ، وكنت أظن أن يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين ، لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها ، والسلام عليك . ولم يزد على هذا ولم يسلم ، والجاريتان : مارية ، وسيرين ، والبغلة : دُلْدُل ؛ بقيت إلى زمن معاوية ، وقد قبل النبي ﷺ من المقوقس هديته [1].

---

(١) انظر : زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٦٠٣، ٦٠٤ .

٣- هرقل عظيم الروم :

عن أبي سفيان بن حرب أخبره : أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تجارا بالشام ، في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفارَ قريش ، فأتوه وهم بإيلياء ، فدعاهم في مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجمانه ، فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسبا ، فقال : أدنوه مني ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه : قل لهم : إني سائل عن هذا الرجل ، فإن كذبني فكذبوه ، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا لكذبت عنه . ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت : لا . قال : فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت : بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها . قال : ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه . قال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة . فقال للترجمان : قل له : سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ، فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله ، لقلت : رجل يأتسي بقول قيل قبله . وسألتك هل كان من آبائه من ملك ، فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه من ملك ، قلت : رجل يطلب ملك أبيه . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ، فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس

ويكذب على الله . وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ، فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون ، فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر ، فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بما يأمركم ، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه ، لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى ، فدفعه إلى هرقل ، فقرأه ، فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ؛ فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران:٦٤) ». قال أبو سفيان : فلما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب ، وارتفعت الأصوات ، وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة ، إنه يخافه ملك بني الأصفر . فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام . وكان ابن الناطور ، صاحب إيلياء وهرقل ، أسقفا على نصارى الشأم ، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء ، أصبح يوما خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك ، قال ابن الناطور : وكان هرقل حَزَّاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ، فلا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مداين ملكك ، فيقتلوا من فيهم من

اليهود ، فبينما هم على أمرهم ، أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه ، فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب ، فقال : هم يختتنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ ، وأنه نبي ، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم ، وأيس من الإيمان ، قال : ردوهم علي ، وقال : إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت ، فسجدوا له ، ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل.[1]

إن هذه المراسلات العديدة من رسول الله ﷺ : تظهر مدى حرصه ﷺ على دعوة أهل الكتاب ، وأن دعوة الملوك والرؤساء إنما كانت لعلمه ﷺ : أن الغالب هو متابعة الناس لملوكهم .

* * *

(١) متفق عليه . رواه البخاري في بدء الوحي (٧) ومسلم في الجهاد (١٧٧٣) عن ابن عباس .

ثامناً : مارية القبطية

تذكر كتب السير : أن النبي ﷺ كان له من السراري اثنتين ، وذكر أبو عبيدة أنهن أربعة :

١- مارية القبطية .

٢- ريحانة النضرية أو القرظية .

٣- جميلة أصابها في بعض السبي .

٤- جارية وهبتها له زينب [١].

وعلى كل فإن تسري النبي ﷺ بمارية القبطية ، أنشأ صلة قوية بين المسلمين والقبط ، فهي في المقام الأول أم لإبراهيم ولد النبي ﷺ ، بيد أن هذا التسري قوَّى العلاقة بين المسلمين والنصارى ، فقد كانت السيدة مارية مهداة من المقوقس عظيم مصر ، وهذا ما حدا بالنبي ﷺ أن يقول : « إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرا ، فإن لهم ذمة ورحم»[٢] ، وفي رواية عند مسلم أيضا : « ذمة وصهراً » .

قال النووي : أما الذمة : فهي الحرمة والحق ... وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم ، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم .[٣]

* * *

---

(١) انظر : زاد المعاد لابن القيم (١/١١١) .

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٣) عن أبي ذر .

(٣) انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / النووي (١٦/٩٧) .

تاسعاً : تجاوزات النصارى قبل مؤتة

كان المبدأ الذي تعامل به النبي ﷺ مع النصارى وغيرهم يتمثل في قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ (البقرة:٢٥٦) . وكان ﷺ انطلاقا من عالمية الدعوة الإسلامية يراسل الملوك والأمراء ، ومن هؤلاء ملوك وأمراء النصارى ، كما ذكرنا من قبل ، وقد بدت من النصارى ملوكا وأفرادا بعض التجاوزات ومن ذلك :

١- مقتل : فروة بن عمرو : ذكر ابن كثير : أن فروة بن عمرو بعث إلى رسول الله ﷺ رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء ، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم ، فقال في محبسه ذلك :

طرقت سليمى موهنا أصحابي ... والروم بين الباب والقروان
صد الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممت أن أغفى وقد أبكاني
فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ... ولئن بقيت ليعرفن مكاني
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى ... من جودة وشجاعة وبيان

قال : وزعم الزهري أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :

بلغ سراة المسلمين بأنني ... سلم لربي أعظمي ومقامي

قال : ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء ، رحمه الله ورضي عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه [١].

---

(١) انظر : البداية والنهاية مرجع سابق جـ٥ صـ٨٥ ، ٨٦ ، وانظر : زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٥٦٤ .

٢- مقتل الحارث بن عمير الأزدي: ذكر ابن سعد: أن رسول الله ﷺ قد بعث إلى ملك بصرى الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بكتابه، فعرض له شرحبيل ابن عمرو الغساني ـ النصراني ـ فأوثقه رباطا ثم قدمه، فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر فبعث البعوث[١].

٣- موقف الحارث بن أبي شمر الغساني: وذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى أيضا: أن شجاع بن وهب الأسدي أرسله رسول الله ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا، قال شجاع: فأتيت إليه وهو بغوطة دمشق، وهو مشغول بتهيئة الإنزال والألطاف لقيصر، وهو قادم من حمص إلى إيلياء، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسول رسول الله إليه. فقال: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا، وجعل حاجبه ـ وكان روميا اسمه مرى ـ يسألني عن رسول الله ﷺ، فكنت أحدثه عن صفة رسول الله ﷺ وما يدعو إليه، فيرق حتى يغلبه البكاء، ويقول: إني قد قرأت الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه، فأنا أومن به وأصدقه، وأخاف من الحارث أن يقتلني، وخرج الحارث يوما فجلس ووضع التاج على رأسه، فأذن لي عليه، فدفعت إليه كتاب رسول الله فقرأه، ثم رمى به، وقال: من ينتزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس. فلم يزل يفرض حتى قام وأمر بالخيول تنعل، ثم قال: أخبر صاحبك ما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه. فكتب إليه قيصر ألا تسير إليه واله عنه، ووافني بإيلياء، فقدمت على النبي ﷺ فأخبرته، فقال: باد ملكه. فمات الحارث بن أبي شمر عام الفتح[٢].

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى ابن سعد جـ٢ طبعة دار صادر بيروت بدون صـ١٢٨، وانظر: زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٣٧٣، والمقصود بقوله (فبعث البعوث) أي غزوة مؤتة.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى مرجع سابق جـ١ صـ٢٦١.

٤- النصارى يقتلون خمسة عشر صحابياً : وذكر ابن جرير الطبري : أن رسول الله ﷺ أرسل في العام الثامن سرية عمرو بن كعب الغفاري إلى ذات أطلاح ، فخرج عمرو بن كعب الغفاري في خمسة عشر رجلا ، حتى انتهى إلى ذات أطلاح ، فوجد جمعا كثيرا فدعوهم إلى الإسلام فأبوا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحاب عمرو جميعا ، وتحامل حتى بلغ المدينة . قال الواقدي : وذات أطلاح من ناحية الشأم ، وكانوا من قضاعة ورأسهم رجل يقال له سدوس [١].

إن هذه الأحداث المؤسفة التى تتطاول فيها النصارى على أصحاب رسول الله ﷺ ضرباً وقتلاً ، دون سبب يدعو إلى هذا ؛ لتدل على أن الاعتداء كان من النصارى على الإسلام والمسلمين كان تطاولاً ممقوتاً .

* * *

(١) انظر : تاريخ الأمم والملوك الطبري دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٤٠٧هـ جـ٢ صـ١٤٥.

عاشراً : غزوة مؤتة

تعد غزوة مؤتة أول لقاء حربي دار بين المسلمين والنصارى وسببها ـ كما ذكرنا من قبل ـ : أن رسول الله ﷺكان قد بعث إلى ملك بصرى الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بكتابه ، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني ـ النصراني ـ فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر فبعث البعوث [1].

يقول الإمام ابن كثير : وهي سرية زيد بن حارثة في نحو من ثلاثة آلاف إلى أرض البلقاء من أرض الشام ، قال محمد بن إسحاق بعد قصة عمرة القضية : فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفرا وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة ، فحدثني محمد بن جعفر ابن الزبير عن عروة بن الزبير قال : بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : « إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس » ، فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف[2] ، وقد قتل القادة الثلاثة ، وولي خالد بن الوليد الجيش ثم عاد ثانية إلى المدينة .

* * *

(١) انظر : الطبقات الكبرى مرجع سابق جـ٢ صـ١٢٨، وانظر : زاد المعاد مرجع سابق جـ٣ صـ٣٧٣.

(٢) انظر : البداية والنهاية مرجع سابق جـ٤ صـ٢٤١ .